العولمة الثقافية وتحديات الهوية الثقافية في المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ – دراسة سوسيولوجية

م.م. كاظم حبيب حميد & الباحثة: فاطمة حيدر نعمة
جامعة القادسية / كلية الآداب
fatimahydra@gmail.com Kadhim.habeb@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/٢/٦
تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/٢/١٨

الخلاصة :

تناول البحث تأثير العولمة الثقافية على الهوية الثقافية العراقية في مرحلة ما بعد عام ٢٠٠٣، حيث شهد العراق انفتاحًا واسعًا على العالم نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية. استعرض البحث تأثير التدفق الثقافي العالمي، بما في ذلك وسائل الإعلام، التكنولوجيا، والعولمة الاقتصادية، على المكونات الثقافية العراقية، وما أدى إليه ذلك من تغيرات في القيم والعادات .

كما ركز البحث على التحديات التي واجهها المجتمع العراقي في الحفاظ على هويته الثقافية، مثل ضعف المؤسسات الثقافية المحلية، وتراجع دور الثقافة التقليدية في مواجهة الثقافة العالمية. وأشار البحث إلى ضرورة تعزيز الهوية الثقافية الوطنية من خلال التعليم، وإحياء التراث، وتنظيم الخطاب الثقافي بما يوازن بين الانفتاح العالمي وحماية الهوية الثقافية .

الكلمات المفتاحية : العولمة ، العولمة الثقافية ، الهوية الثقافية .

Cultural globalization and the challenges of cultural identity in Iraqi society after 2003 – a sociological study

Asst.Lec.Kadhim Habeeb Hameed & Res. Fatima Hayder Nea'ma

University of Al-Qadisiyah / College of Arts

Kadhim.habeb@qu.edu.iq fatimahydra@gmail.com

Date received: 6/2/2025
Acceptance date: 18/2/2025

Abstract

The research addressed the impact of cultural globalization on Iraqi cultural identity in the post-2003 period, as Iraq witnessed a wide openness to the world as a result of political and social changes. The research reviewed the impact of global cultural flow, including media, technology, and economic globalization, on Iraqi cultural components, and the resulting changes in values and customs.

The research also focused on the challenges faced by Iraqi society in preserving its cultural identity, such as the weakness of local cultural institutions, and the decline of the role of traditional culture in the face of global culture. The research pointed to the need to enhance national cultural identity through education, reviving heritage, and organizing cultural discourse in a way that balances global openness with protecting local identity.

Keywords: Globalization, Cultural Globalization, Cultural Identity.

المقدمة :

شهد العالم في العقود الأخيرة موجة من التغيرات العميقة الناتجة عن ظاهرة العولمة التي فرضت تأثيراتها على مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. تعد العولمة الثقافية إحدى أبرز مظاهر هذه الظاهرة، حيث أسهمت في نقل الأفكار، والقيم، والأنماط الثقافية عبر الحدود، مما أدى إلى تداخل الثقافات وانفتاح الشعوب على بعضها البعض.

في السياق العراقي، بعد عام ٢٠٠٣ تحديداً، شهد المجتمع تحولات جذرية بفعل التغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى التي أدت إلى فتح الأبواب أمام التأثيرات الثقافية الخارجية. أصبح العراق ميداناً للتفاعل بين العولمة الثقافية من جهة، والسعي للحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية من جهة أخرى. وقد أثارت هذه الظاهرة العديد من التحديات التي مست القيم الاجتماعية، والأنماط الفكرية، والتقاليد التي شكلت جوهر الهوية الثقافية العراقية .

إن تناول العولمة الثقافية وتأثيرها على الهوية العراقية بعد عام ٢٠٠٣ يعد قضية بالغة الأهمية، حيث إنها تثير تساؤلات حول قدرة المجتمع العراقي على التكيف مع التغيرات العالمية، وفي الوقت ذاته الحفاظ على هويته الثقافية المميزة في ظل التحديات التي فرضتها هذه المرحلة الحساسة من تاريخه .

الفصل الاول: التعريف بالبحث

مشكلة البحث

تمثل مشكلة البحث في معرفة تأثير العولمة الثقافية على الهوية الثقافية في المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣، وهي الفترة التي شهد فيها العراق انفتاحًا غير مسبوق على العالم بفعل التغيرات السياسية والاجتماعية. وتُطرح التساؤلات حول مدى تأثير العولمة على القيم والتقاليد العراقية، وكيفية مواجهة المجتمع العراقي للتحديات الناتجة عن التدفق الثقافي العالمي، وما إذا كانت الهوية الثقافية الوطنية قادرة على الصمود أمام هذه التغيرات أو عرضة للاضمحلال.

ويتساءل البحث:

١. ما أبرز تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣؟
٢. ماهي المفاهيم الجديدة التي ساهمت في هذه التحديات ؟

٣. وما هي السبل الممكنة لتعزيز الهوية الثقافية في ظل استمرار تأثير العولمة؟

ثانياً : اهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على تأثير العولمة الثقافية على الهوية الثقافية العراقية بعد عام ٢٠٠٣، وهي مرحلة شهد فيها العراق تغيرات كبيرة بفعل الانفتاح العالمي. يساهم البحث في فهم التحديات التي تواجه الهوية الوطنية نتيجة التدفق الثقافي الأجنبي، يوضح البحث كيفية تأثر مكونات الهوية الثقافية العراقية (كاللغة، الدين، العادات، والتقاليد) بالتدفق الثقافي العالمي، مما يساعد في فهم التغيرات الحاصلة ، ويعزز البحث الوعي المجتمعي بأهمية الهوية الثقافية ، ويسلط الضوء على دور المؤسسات التربوية والثقافية في الحفاظ عليها، كما يهدف إلى تقديم توصيات لحماية الهوية الثقافية وتعزيز دورها في بناء مجتمع متوازن يجمع بين الانفتاح العالمي والمحافظة على الموروث الثقافي.

ثالثاً : اهداف البحث

١. معرفة أبرز تحديات الهوية الثقافية في ظل العولمة في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣ .
٢. معرفة المفاهيم الجديدة التي ساهمت في بروز هذه التحديات .
٣. وما هي السبل الممكنة لتعزيز الهوية الثقافية في ظل استمرار تأثير العولمة .

رابعاً : منهجية البحث ونوعه :

اعتمد الباحثان المنهج التحليلي لوصف ابرز التحديات التي تواجه الهوية الثقافية في ظل وجود العولمة وخصوصاً العولمة الثقافية من خلال الدراسة النظرية وتحليل ما توصلت اليه لوضع الاستنتاجات والتوصيات المناسبة وبذلك يعتبر البحث بصيغته الحالية من البحوث النظرية .

خامساً : تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية

١- العولمة Globalization

يرى البعض من العماء والباحثين أن مفهوم العولمة المقصود به : الغطاء النظري أو الفلسفة النظرية لاقتصاد السوق، والمجموعة الدول الصناعية، والشركات متعددة الجنسيات، من أجل فتح أسواق العالم أمام الصناعات الغربية، بدعوى المنافسة، والانفتاح، وتشجيع الدول الأقل نموا على التنمية *(اكرام كمال ، ٢٠١٠ ، ٢٨-٢٩)* .

ويعرف رونالد روبرتسون العولمة بأنها عملية لبلورة العالم في مكان واحد وأن يفضي إلى ظهور حالة إنسانية عالمية (Ronald Roberstson: 1987, p97) ، كما عرف الكاتب (رضا عبد الواجد أمين) للعولمة

: معتبرًا بأنها ظاهرة حديثة نسبيًا تشير إلى محاولات تصغير العالم ودمجه من خلال التقليل من أهمية الحدود الجغرافية والسياسية، وتتيح إمكانية الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، نشأت في مجال الاقتصاد وتعدته إلى المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية....الخ ، وساعد على انتشارها ثورة تكنولوجية واجتماعية ورغبة سياسية وتمثل في أحد جوانبها من خلال هيمنة القيم الغربية بصفة عامة والأمريكية بصفة خاصة *(رضا عبد الواجد ، ٢٠٠٧ ، ٥٥)* .

كما أن العولمة في جوهرها مصطلح جديد لظاهرة قديمة تعبر عن محاولة للتعبير أو الفرض القصري لإيديولوجية موحدة، أو الطريقة عيش بعينها، أو لمسار حياة معين على مختلف الشعوب الأخرى ، فقد تم تعريفها بأنها: "ظاهرة تشمل كل التحولات التي يترتب عليها إلغاء الحواجز بين الشعوب ودول العالم، وذلك بفرض الثقافة الأمريكية على باقي الثقافات، مما أدى إلى هيمنة وسيطرة الثقافة الأقوى وطمس الهوية الثقافية للشعوب الأخرى(*عمران علي ، ٢٠١٤ ،٢٣٩)* .

٢- الثقافة Culture:

لم تحظَ كلمة بانتشار وازدهار يماثل ما حظيت به كلمة "الثقافة"، إذ يُعد مفهومها من أكثر المفاهيم تداولًا واستخدامًا. ومع ذلك، يظل هذا المصطلح محاطًا بالغموض والالتباس عند طرحه للنقاش. وقد تناولت العديد من الدراسات نشأة هذا المفهوم وتطوره عبر التاريخ، بينما ركزت دراسات أخرى على أبعاده المعرفية.
وفي هذا السياق، قام عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان كروبر (A.L. Kroeber) وكلاكهون (C. Kluckhohn) بحصر ما لا يقل عن ١٦٠ تعريفًا للثقافة، حيث صنفاها إلى سبع فئات رئيسية، وهي: التعريفات الوصفية، والتاريخية، والتقييمية، والسيكولوجية، والبنيوية، والتكوينية، إضافة إلى تعريفات جزئية غير مكتملة *(عبد الغني ،٢٠١٦ ، ٢٦)* .

يدل ذلك إن مفهوم الثقافة مفهوم واسع يشتمل على الكثير من الأوجه والدلالات لذلك فقد اختلف الكثير من العلماء في تعريفهم للثقافة ، إلا إن أشهر تعريف للثقافة وأقدمها وأكثرها شيوعاً حتى الآن هو تعريف عالم الأنثروبولوجيا الإنكليزي (إدوارد تايلور Edward B. Tylor) في كتابه (الثقافة البدائية) حيث يعرف الثقافة على إنها : ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والاخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع *(كوش ،٢٠٠٧ ،٣٠-٣١)* .

ويعرفها (هارلمبس وهولبورن) في كتابهما (سوسيولوجيا الثقافة والهوية) بأنها طريقة كاملة للحياة لدى مجتمع معين ، حيث يتم تعلمها وتقاسمها بين أفراد المجتمع ، وهي من المفاهيم المعقدة ففي جميع الطرق التي استعملت فيها الثقافة تلميحاً أو تصريحاً جرى التعامل معها كشيء مغاير للطبيعة ، فالأشياء التي يصنعها

الإنسان ويمارسها هي معطيات ثقافية بينما الأشياء التي توجد وتحدث دون تدخل الانسان تعتبر جزءاً من عالم الطبيعة ، فالثقافة بهذا المعنى هي دائماً رمزية تكتسب بالتعلم وتشكل مظاهر المجتمع الإنساني *(هارلمبس وهولبورن ، ٢٠١٠، ٧)* .

وتعرف الثقافة في علم الاجتماع بأنها البيئة التي خلقها الانسان بما فيها من المنتجات المادية وغير المادية التي تنتقل من جيل إلى آخر ، فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز والذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم وقوانين وعادات *(احمد زكي ، ١٩٨٢ ، ٩٣)* .

٣- العولمة الثقافية Cultural Globalization

تحمل كلمة "عولمة"، خاصة في المجال الثقافي وفقًا لمفهومها الأنثروبولوجي، دلالة على انتشار خصائص ثقافية معينة على نطاق واسع، بحيث تتجاوز الحدود المحلية وتفرض نمطًا موحدًا يُتوقع من الجميع اتباعه. غير أن هذا النمط العالمي غالبًا ما يتعارض مع القيم والأنساق الثقافية المحلية، التي تميز كل مجتمع عن غيره *(محمد عباس ٢٠١٣، ٢٥-٢٧)* .

وتُعد العولمة الثقافية مزيجًا من السياسات والتأثيرات الناتجة عن التفاعل الثقافي والاجتماعي غير المتكافئ بين القوى المهيمنة عالميًا والمجتمعات الأخرى. وقد أُطلق على هذا التوجه اسم "ثقافة العولمة"، والتي تتجسد في الثقافة الرأسمالية السائدة عالميًا. هذه الثقافة لا تكتفي بإعادة تشكيل الهويات المحلية، بل تدفع أيضًا نحو نموذج بديل من العولمة، يتيح للخصوصيات الثقافية أن تزدهر ضمن إطار أوسع، مما قد يسهم في نشوء ثقافة عالمية تُعرف بـ (عولمة الثقافة) *(نور الدين ،٢٠٠١ ، ١٤٣)* .

ويُعرّف الدكتور بهاء الدين خليل تركية العولمة الثقافية بأنها عملية تهدف إلى إنشاء ثقافة موحدة أو متشابهة على مستوى العالم، حيث تسعى القوى السياسية والاقتصادية المهيمنة إلى تسويق منتجاتها الثقافية – حتى وإن كانت سلبية – إلى الدول الفقيرة والضعيفة. ويؤدي هذا التأثير إلى تحولات في القيم والعادات والتقاليد والأنماط الثقافية، وفقًا لما يخدم مصالح المنتج، مما قد يسفر عن تراجع وانهيار الهوية الثقافية والقيم المحلية *(بهاء الدين ، ٢٠١٥ ، ٢٦٥)* .

تُعرّف العولمة الثقافية بأنها سعي مجتمع معين إلى نشر نموذجه الثقافي في المجتمعات الأخرى، عبر التأثير في المفاهيم الحضارية، والقيم الثقافية، والأنماط السلوكية لأفراد هذه المجتمعات. ويتم ذلك من خلال وسائل سياسية، واقتصادية، وثقافية، وتقنية متنوعة، مستندًا إلى ديناميكية الاختراق الثقافي، واستعمار العقول، واحتواء الموارد، بالإضافة إلى ربط بعض المثقفين بدوائر محدودة *(ابو راشد ، ١٩٩٩ ، ١٠)* .

٤- الهوية الثقافية :

تعد الهوية الثقافية من المفاهيم الأساسية المرتبطة بالعولمة الثقافية في العالم، إذ تشكل إحدى الركائز الضرورية لبناء مجتمع متماسك ومستقر في قيمه ومبادئه. فهي لا تقل أهمية عن غيرها من عناصر الهوية الوطنية، مثل اللغة والدين، حيث تتداخل جميع هذه العناصر وتترابط بشكل وثيق. فلا يمكن فصل الثقافة عن الهوية، كما لا يمكن تحقيق الهوية بمعزل عن الثقافة.

من الناحية اللغوية، يُشتق مصطلح "الهوية" من ضمير الغائب "هو"، مضافًا إليه ياء النسبة، ليشير إلى وجود الشيء وخصائصه الفريدة التي تميزه عن غيره. وبذلك، تعبر الهوية عن كيان الفرد أو الشعب أو الأمة وفقًا لسماتها المميزة ومقوماتها الأساسية، مما يتيح التعرف عليها بوضوح وتفرد *(احمد بن نعمان ،١٩٩٦، ١٩)*.

كما تعرّف العولمة الثقافية بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق مثل اشتمال النواة على الشجرة في القيمة.. أي تلك الصفة الثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات الأخرى أن تصبح مكانها أو تكون نقيض لها، فالهوية تبقى قائمة مادامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض والتي توضح وتعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها *(علي بن محمد ، ١٩٩٨ ، ٢٥٩)* .

يُعد المفهوم الذي قدمته منظمة اليونسكو أحد أبرز التعريفات الأساسية للهوية الثقافية، حيث توضح أنها تعني في المقام الأول أن الأفراد ينتمون إلى جماعة لغوية، سواء كانت محلية أو إقليمية أو وطنية، وتتميز هذه الجماعة بمجموعة من القيم الأخلاقية والجمالية الخاصة بها ، وتشمل الهوية الثقافية الطريقة التي يستوعب بها الأفراد تاريخ جماعتهم، وتقاليدها، وعاداتها، وأسلوب حياتها، بالإضافة إلى الشعور بالانتماء إليها والمشاركة فيها، أو حتى المساهمة في تشكيلها. كما أنها تمثل الطريقة التي تتجلى بها الذات البشرية في كيان متكامل. وبالنسبة لكل فرد، تعد الهوية الثقافية بمثابة معادلة أساسية تحدد، بشكل إيجابي أو سلبي، كيفية ارتباطه بمجموعة معينة من الأفراد. *(حمدي حسن ، ٢٠٠٤ ، ١٢٤)* .

سادساً : أبرز تحديات الهوية الثقافية

تتجلى التحديات التي افرزتها العولمة الثقافية على الصعيد العلمي ، وفي المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣ بشكل خاص والتي تهدد الهوية الثقافية بشكل مباشر والتي يمكن اجمالها بالنقاط التالية :

١- انتشار لون جديد للثقافة العالمية تلغي خصوصية الإنسان وموروثه الثقافي وانتشار القيم السلبية، وضعف الانتماء الوطني والقومي وحتى بروز ثقافة الانعزال وضعف العلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد (*خالد صالح ، ٢٠٠٨ ، ١٩*) .

٢- انتشار الثقافة الاستهلاكية بحيث أضحت أكثر رواجًا عالميا خاصة لدى المرأة وفئة الشباب سيما فيما تعلق بالموضة والأكلات والمشروبات والموسيقى العالمية مما سهل من عملية الاندماج والاختراق الثقافي (*ليلى سليمان ، ٢٠٠٧ ، ٤٦*) .

٣- سيادة الصورة السمعية البصرية التي أضعفت الثقافة الشفوية والمكتوبة التي أثرت على البناء وسمات الشخصية لاسيما لدى النساء والشباب.

٤- اختفاء العديد من التقاليد والعادات في البلدان الإسلامية وتأثر بعض الممارسات الاجتماعية للقيم الدينية من طرف أفراد المجتمع.

٥- بروز ظاهرة ضعف الانتماء للوطن والقومية تأثرًا بثقافة العولمة وضعف ارتباطهم بالوطن والانصهار فيما يعرف بالمواطنة العالمية.

٦- انتشار الفردية وتراجع صورة الانتماء للأسرة والجماعة والمجتمع والرغبة في العزلة الاجتماعية خاصة في ظل انتشار استخدامات وسائل التواصل الاجتماعي (*محمد احمد ، ٢٠١٣*) .

٧- ذوبان الهوية الثقافية للمجتمعات وبروز ثقافة شاملة عن طريق الغزو الثقافي.

ويشير الدكتور إسماعيل علي محمد في كتابه **(العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها)** إلى أن العولمة الثقافية الأمريكية تحمل العديد من المظاهر والصور التي تتجلى في الأفكار والبرامج والخطط المتعلقة بقضايا الأسرة، المرأة، والطفل. هذه الطروحات غالبًا ما تتعارض مع الشرائع السماوية عامةً، ومع الشريعة الإسلامية بشكل خاص، حيث تسعى إلى فصل الدين عن شؤون الحياة، كما تشمل الدعوة إلى إلغاء الميراث ، تقويض مؤسسة الأسرة، والترويج لأشكال جديدة من العلاقات مثل الزواج المثلي، وإباحة الزنا والإجهاض ، ويؤكد أن هذه المظاهر تسهم بشكل كبير في تدمير القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية (*اسماعيل علي ، ٢٧،٢٠٠٧- ٣١*) .

سابعاً : بعض المفاهيم الثقافية الجديدة المساهمة في تحديات الهوية الثقافية

١. الغزو الثقافي

يعرفه الباحث عبد الله عبد المحسن التركي بأنه أي فكرة أو محتوى أو منهج يهدف بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تقويض الأسس العقائدية والفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، أو التقليل من قيمتها

واستبدالها بمنظومات ثقافية أخرى ضمن الدساتير، المناهج التعليمية، أو وسائل الإعلام والتثقيف (محمد سيد ، ١٩٩٤ ، ١٥). وبذلك، يُستخدم الغزو الثقافي كأداة ووسيلة ضمن العولمة الثقافية لفرض بدائل ثقافية، مقابل طمس وتشويه الهوية الوطنية والتشكيك في قيمها، بدعوى مواكبة الحداثة والتطور الحضاري *(الخنساء تومي ، ٢٠١٧ ، ١٤٠)* .

٢. الاختراق الثقافي

يعد الاختراق الثقافي أحد المفاهيم التي أفرزتها العولمة، حيث يسهم في التأثير على الخصوصية الثقافية من خلال وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، مثل القنوات الفضائية والإنترنت. وتكمن خطورته في استخدام هذه الوسائل لتمرير مضامين ثقافية وافدة تؤثر على المجتمعات المحلية، لا سيما في ظل الانفتاح العالمي الذي أتاحته ثورة الاتصالات. وأصبح هذا الاختراق وسيلة للهيمنة الثقافية من قبل الدول الغربية على المجتمعات النامية، مما يعزز تأثيرها الثقافي ويضعف الهويات المحلية (الخنساء تومي ، ١٤١).

٣. الاغتراب الثقافي

يشير مفهوم الاغتراب الثقافي إلى حالة انفصال الفرد عن ثقافة مجتمعه، حيث يبتعد عن العادات والتقاليد والقيم السائدة، ويرفضها لصالح تبني ثقافات أجنبية. ويعكس هذا الاغتراب ضعف اندماج الفرد في بيئته الاجتماعية، مما يولد شعورًا بالغربة والعزلة. كما قد يؤدي إلى انسحاب اجتماعي وسلوكيات سلبية ناتجة عن عدم التوافق مع المحيط الثقافي، مما يترتب عليه مشاعر اليأس، فقدان الأمل، والتوتر النفسي. ويشكل هذا الاغتراب أحد تجليات العولمة الثقافية التي تسهم في إضعاف الهوية الثقافية للأفراد والمجتمعات *(سعد الدين ، ٢٠٢١ ، ٧٠-٧١)*.

٤. التثاقف

يُقصد بالتثاقف تلك الظواهر التي تنتج عن التفاعل المستمر والمباشر بين أفراد أو جماعات تنتمي إلى ثقافات مختلفة، وما يترتب على ذلك من تغييرات تطرأ على النماذج الثقافية الأصلية لهذه المجتمعات. ومن منظور علم الاجتماع، يحدث التثاقف عندما تحتوي المنظومة الثقافية لأي مجتمع على عناصر ثقافية متعددة إلى جانب ثقافته المحلية، مما يؤدي إلى تداخل الثقافات وتأثير بعضها على بعض، وفي كثير من الأحيان يكون الأفراد هم الأكثر تأثرًا بهذا التفاعل، مما قد يهدد خصوصيتهم الثقافية*(GUERRAOUI. Z: (2000) , P 16)*.

٥. التكيف الثقافي

يمثل التكيف الثقافي قدرة الأفراد على التفاعل مع ثقافات مختلفة والتأقلم معها من خلال التعلم والتجارب الشخصية. وعند تداخل ثقافة أجنبية مع ثقافة محلية، يكون أمام الأفراد خيارات متعددة، إما قبول هذه الثقافة الجديدة، رفضها، أو التفاعل معها بطريقة تؤدي إلى نشوء ثقافة هجينة تمزج بين العناصر الأصلية والوافدة. وفي ظل العولمة الثقافية، يصبح الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية أمرًا ضروريًا، سواء من خلال حماية الموروث المادي وغير المادي أو عبر تحقيق ما يُعرف بالأمن الثقافي، لضمان استمرارية الخصوصية الثقافية في مواجهة التحديات العالمية *(برهان رزيق ، ٢٠١٧ ، ٢٣)*.

ثامناً : اهم السبل للحفاظ على الهوية الثقافية في ظل وجود العولمة :

من أخطر التحديات التي تفرضها العولمة هو تهديدها للهوية الثقافية للشعوب. وإذا لم تُتخذ التدابير اللازمة لمواجهة هذا الخطر، فإن الهويات الثقافية ستصبح عرضة للذوبان في ثقافة عالمية موحدة، مما يؤدي إلى تراجع الانتماء الوطني والشعور بالمواطنة، وينتج عنه اغتراب ثقافي بين الأفراد. يعود ذلك إلى سيطرة العولمة على وسائل الإعلام والتكنولوجيا والاقتصاد، وسعيها لتوحيد ثقافات العالم تحت نمط ثقافي واحد من خلال تفكيك الهويات الثقافية المحلية.

ولحماية الهوية الثقافية العربية من تهديدات العولمة، يمكن تبني إستراتيجية ترتكز على المحاور التالية :

١- فهم العولمة بعمق وهذا يتطلب التعامل مع العولمة فهمًا علميًا لطبيعتها وأساليبها وأهدافها. ينبغي دراسة العولمة بموضوعية وتوظيفها بما يخدم المصالح الوطنية، مع تعزيز الثقة بالهوية الثقافية العربية. يمكن الاستفادة من بعض جوانب العولمة، مثل التكنولوجيا وطرق الإنتاج، بما لا يتعارض مع الأصالة الثقافية. كما يجب تشجيع الحوار الثقافي مع شعوب العالم، خاصة مع تلك التي تواجه تحديات مماثلة من العولمة *(الاطرش ، ٢٠٠٠ ، ٤١٣)* .

٢- تعزيز مقومات الهوية الثقافية إذ يرى الدكتور محمد عابد الجابري انه يجب العمل على دعم مقومات الهوية الثقافية العربية، مثل اللغة العربية، والعقيدة، والتراث الثقافي. يتطلب ذلك تبني سياسات ثقافية فعالة، تشمل إصلاح المناهج التعليمية في المدارس والجامعات لتعزيز الانتماء الثقافي. بالإضافة إلى ذلك، ينبغي الأخذ من الحضارات الأخرى بما يتوافق مع الهوية الثقافية العربية دون التضحية بالأصالة. يمكن تحقيق ذلك من خلال إنتاج ثقافي قوي ومبدع، مثلما فعلت دول شرق آسيا كاليابان وكوريا، لتتمكن الثقافة العربية من المشاركة في التفاعل الثقافي العالمي بفعالية *(الجابري ، ١٩٩٧ ،١٤)*.

٣- تعزيز التعاون الثقافي بين الدول العربية عبر شبكات الاتصال الحديثة وتبادل المعلومات. يتطلب ذلك أيضًا تعزيز تعليم اللغة العربية للأجيال الجديدة قبل تعلم اللغات الأجنبية، وتأكيد القيم الثقافية والدينية التي تشكل

جزءًا أساسيًا من الهوية العربية. يجب أيضًا الحفاظ على الموروث الثقافي الإيجابي، مع ترك الجوانب السلبية من خلال عملية انتقائية واعية تأخذ بعين الاعتبار التطورات العلمية *(الجابري ، ٢٧)* .

٤- اضف الى ذلك مكافحة الفساد الذي يُعد عائقًا رئيسيًا أمام التنمية واستقلال القرار الوطني، مما يُضعف قدرة الدول على مواجهة تحديات العولمة. لذلك، من الضروري تعزيز آليات الرقابة والمحاسبة لمكافحة الفساد، وحماية مؤسسات الدولة من التدخلات الخارجية التي قد تفرضها المؤسسات المالية الدولية.

٥- تعزيز الديمقراطية والحوار الفكري وهذا يتطلب الحفاظ على الهوية الثقافية دعم الديمقراطية واحترام التعددية الفكرية، وضمان حقوق المواطنين والمساواة بينهم. سيسهم ذلك في الحد من هجرة العقول العربية، وتشجيع الإبداع والابتكار المحلي. كما ينبغي تعزيز مؤسسات المجتمع المدني وضمان ديمقراطيتها لتمكين المواطنين من المشاركة الفعالة في التنمية الثقافية والاقتصادية.

٦- تقوية دور الدولة في حماية الهوية الثقافية باعتبارها حامية للهوية الثقافية من خلال سن القوانين والأنظمة التي تحافظ على هذه الهوية. إذا تم تهميش دور الدولة في هذا المجال، فإن عناصر الهوية الثقافية ستبقى عرضة للتآكل تحت تأثير العولمة. لذا، يجب على الدولة أن تؤدي دورها بفاعلية لضمان حماية الهوية الثقافية وصيانتها *(ولعلو ، ١٩٩٦ ، ٥٧)* .

تاسعاً : الاستنتاجات

١. تأثير العولمة على القيم الثقافية نتيجة تأثر شريحة الشباب في المجتمع العراقي تأثرًا كبيرًا بالقيم والعادات القادمة من الخارج نتيجة الانفتاح على وسائل الإعلام الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي.

٢. ضعف الهوية الثقافية المحلية بفعل الانفتاح الكبير بعد عام ٢٠٠٣ إلى تراجع بعض عناصر الهوية الثقافية المحلية لصالح ثقافات وافدة ذات تأثير قوي.

٣. ظهور صراع ثقافي داخلي فبعد عام ٢٠٠٣ واجه المجتمع العراقي صراعًا بين الحفاظ على الموروث الثقافي والتقاليد من جهة، والانجراف نحو العولمة الثقافية من جهة أخرى.

٤. دور وسائل الإعلام فقد لعبت وسائل الإعلام العالمية والمحلية دورًا كبيرًا في نقل مظاهر العولمة الثقافية، ما أدى إلى تزايد تأثير الثقافات الأجنبية على المجتمع.

٥. ضعف الوعي الثقافي : أدى غياب سياسات ثقافية واضحة وموجهة بعد عام ٢٠٠٣ إلى تعزيز تأثير العولمة الثقافية على حساب الهوية الثقافية الوطنية .

٦. التأثير على الأجيال الشابة إذ تأثرت الأجيال الجديدة بشكل خاص بمظاهر العولمة، حيث تبنت أنماطًا ثقافية جديدة ابتعدت عن القيم والعادات التقليدية .

عاشراً : التوصيات

١. تعزيز الهوية الثقافية الوطنية والعمل على تطوير استراتيجيات وبرامج تعليمية وثقافية تركز على تعزيز الهوية الثقافية الوطنية العراقية من خلال إبراز التراث الثقافي والقيم المحلية، مع الحفاظ على الانفتاح الإيجابي على الثقافات الأخرى.

٢. الرقابة على المحتوى الإعلامي وتوجيه الإعلام ليكون وسيلة لدعم الهوية الثقافية والتصدي للتأثيرات السلبية للعولمة الثقافية، من خلال تبني محتوى يعزز القيم والتقاليد العراقية، مع الاهتمام بالإبداع والحداثة.

٣. دعم الإنتاج الثقافي المحلي من خلال تشجيع الإبداع الفني والثقافي المحلي في الأدب، والمسرح، والسينما، والفنون الشعبية، من خلال تقديم دعم حكومي ومنظمات مجتمع مدني لضمان منافسة الإنتاج الثقافي المحلي للمنتجات الثقافية العالمية.

٤. تعزيز الوعي الثقافي بين الشباب: إطلاق حملات تثقيفية وتوعوية موجهة للشباب تسلط الضوء على أهمية الهوية الثقافية العراقية، وتناقش تأثيرات العولمة الثقافية بشكل علمي وواقعي، مع تقديم نماذج إيجابية لتفاعل الثقافات .

المصـــــــادر

(١) أبو راشد عبد الله أحمد : العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ١٩٩٩ .

(٢) أحمد بن نعمان : الهوية الوطنية – الحقائق والمغالطات، الجزائر، دار الأمة، ١٩٩٦ .

(٣) أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢ .

(٤) إكرام كمال عوض المصري: عولمة المرأة المسلمة – الآليات وطرق المواجهة، ط١، مكتبة الملك فهد، الرياض، السعودية، ٢٠١٠ .

(٥) إسماعيل علي محمد : العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، دار تنوير للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧، ص ٢٧-٣١ (الباحث بتصرف).

(٦) الخنساء تومي : دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الاتصال، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٧.

(٧) بهاء الدين خليل تركية: علم الاجتماع العائلي، الأردن، ٢٠١٥ .

(٨) برهان زريق : مخاطر الغزو الثقافي، وزارة الإعلام السورية، سوريا، ٢٠١٧.

(٩) دينيس كوش : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة د. منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٧ .

(١٠) رضا عبد الواجد أمين : الإعلام والعولمة، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧ .

(١١) حمدي حسن المحروقي : دور التربية في مواجهة تداعيات العولمة على الهوية الثقافية، القاهرة، مصر، مركز تطوير التعليم الجامعي، ٢٠٠٤ .

(١٢) خالد صالح محمود : الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في العولمة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠٠٨ .

(١٣) عبد الغني عماد : سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦ .

(١٤) علي بن محمد الجرجاني : التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨ .

(١٥) عمران علي عليان : درجة تمثل طلبة جامعة الأقصى لقيم المواطنة في ظل العولمة – دراسة تطبيقية على عينة طلبة جامعة الأقصى بقطاع غزة، مجلة جامعة الأقصى، العدد ٢، المجلد ١٨، ٢٠١٤.

(١٦) فتح ولعلو : تحديات عولمة الاقتصاد والتكنولوجيا في الدول العربية، منتدى الفكر العربي ، عمان ، ١٩٩٦ .

(١٧) ليلى سليمان علي بكر : ظاهرة العولمة وموقف الإسلام منها، ط١، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٧ .

(١٨) محمد أحمد عبد الهادي رمضان : أهم مظاهر العولمة الثقافية في بلادنا العربية، جريدة الشرق اليومية، على الرابط www.al-sharq.com بتاريخ ٢٠١٣/٧/١٣، تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢٥/١/٧.

(١٩) محمد الأطرش : في مفهوم العولمة، "في" العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠ .

(٢٠) محمد سيد محمد : الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٤ .

(٢١) محمد عابد الجابري : قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧ .

(٢٢) محمد عباس إبراهيم : الثقافة والعولمة، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠١٣ .

(٢٣) نادية سعد الدين : الفلسفة والمشكلات المعاصرة (التطرف، الاغتراب الثقافي نموذجاً)، سلسلة الفلسفة الشباب، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٢١ .

(٢٤) نور الدين زمام : عولمة الثقافة المستحيل والممكن، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠٠١ .

(٢٥) هارلمبس وهولبورن : سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٠.

(26) GUERRAOUI. Z: Psychologie interculturelle; Armand Colin, Paris, France 2000 .

(27) Ronald Roberstson: Globalization and socited Mdernisation en Japan and japanise religion in: sociological and ysis, 1987 .